كامل كيلانى

قصص فكاهيّة

حذاء الطنبورى

الطبعة العاشرة

دار المعارف بمصر

obeikandl.com

obeikandl.com

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

١ — بَطَلُ الْقِصَّة

عاشَ « الطُّنْبُورِيُّ » بَطَلُ هٰذِهِ الْقِصَّةِ فِي مَدِينَةِ « بَغْدادَ » قَبْلَ أَنْ تُولَدَ — أَيُّها الصَّدِيقُ الْعَزِيزُ — بِمِئاتِ السِّنِينَ .

وَلَعَلَّكَ تَقُولُ بَعْدَ قِراءَتِها :

« إِنَّ بَطَلَها لَمْ يَكُنِ « الطُّنْبُورِيَّ » بَلْ حِذاءَهُ » .

وَلَعَلَّ بَعْضَ إِخْوانِكَ — مِمَّنْ قَرَأَ هٰذِهِ الْقِصَّةَ أَوْ سَمِعَها — سَيُخالِفُنِي وَيُخالِفُكَ فِيما ذَهَبْنا إِلَيْهِ جَمِيعًا — فَيَقُول : « إِنَّ « الطُّنْبُورِيَّ » لَمْ يَكُنْ بِمُفْرَدِهِ بَطَلَ هٰذِهِ الْقِصَّةِ ، كَما أَنَّ « حِذاءَهُ » لَمْ يَكُنْ وَحْدَهُ بَطَلَها كَذٰلِكَ ، فَإِنَّ لَها — عَلَى الْحَقِيقَةِ — بَطَلَيْنِ اثْنَيْنِ لا بَطَلًا واحِدًا » .

وَما أَقْرَبَ صاحِبَكَ إِلَى الصَّوابِ ، فَإِنَّ « الطُّنْبُورِيَّ » و « حِذاءَهُ » كِلَيْهِما قَدْ قاما بِدَوْرَيْنِ فِي هٰذِهِ الْقِصَّةِ مُتَقارِبَيْنِ ، إِنْ لَمْ يَكُونا مُتَماثِلَيْنِ . وَلَوِ اقْتَصَرَتْ عَلَى أَحَدِهِما — دُونَ صاحِبِهِ — لَكانَتْ قِصَّةً فارِغَةً تافِهَةً .

٢ — خُلُودُ الْقِصَّةِ

وَلٰكِنَّ الْقِصَّةَ — بَعْدَ أَنْ جَمَعَتْ بَيْنَ الْبَطَلَيْنِ ، أَعْنِي : «الطُّنْبُورِيَّ» وَ «حِذاءَهُ» — أَصْبَحَتْ غايَةً فِي الْفُكاهَةِ والْإِمْتاعِ . فَقَدِ اسْتَطاعَ «الطُّنْبُورِيُّ» و «حِذاؤُهُ» مُجْتَمِعَيْنِ أَنْ يَخْلُقا فِيها — عَنْ غَيْرِ عَمْدٍ — جَوًّا بَدِيعًا مِنَ السُّخْرِيَةِ البارِعَةِ ، والْفُكاهَةِ الْمُسْتَمْلَحَةِ ، والْمُفارَقاتِ الْعَجِيبَةِ ، الَّتِي ضَمِنَتْ بَقاءَها مِئاتٍ مِنَ السِّنِينَ ، وسَتَضْمَنُ لَها الْبَقاءَ مِئاتٍ أُخْرَى . وَلا عَجَبَ فِي ذٰلِكَ ، فَهِيَ تَبْهَجُ نَفْسَ قارِئِها وَسامِعِها فِي كُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ . وَأَنا واثِقٌ مِنْ أَنَّها سَتُعْجِبُكَ فَتَرْوِيها لِأَوْلادِكَ — حِينَ تَكْبَرُ وَتَبْلُغُ مَبْلَغَ الرِّجالِ — كَما أَعْجَبَتْنِي فِي طُفُولَتِي وظَلَّتْ مَوْضِعَ إِعْجابِي إِلَى الْيَوْمِ فَرَوَيْتُها لَكَ ، وَكَما أَعْجَبَتْ أَبِي فَرَواها لِي ، وَكَما أَعْجَبَتْ جَدِّي — مِنْ قَبْلُ — فَرَواها لِأَبِي . وَهٰكَذا يُقْسَمُ لِكُلِّ عَجِيبٍ مُمْتِعٍ مِنَ الْقَصَصِ أَنْ يَدُومَ ، كَما يُقْسَمُ لِأَبْطالِهِ أَنْ تَبْقَى أَسْماؤُهُمْ عَلَى مَرِّ الْأَزْمانِ ، وَأَنْ تَخْلُدَ حَسَناتُهُمْ وَسَيِّئاتُهُمْ عَلَى السَّواءِ .

٣ — الصَّاحِبانِ

وَلَعَلَّكَ عَرَفْتَ ماذا أَعْنِي بِهٰذَيْنِ الصَّاحِبَيْنِ ، فَلَيْسا هُما — كَما يَظُنُّ غَيْرُكَ — شَخْصَيْنِ مِنَ الْأَناسِيِّ ، أَوْ صَدِيقَيْنِ مِنَ الْحَيَوانِ ، كَلَّا ، بَلْ هُما — كَما رَأَيْتَ — حِذاءٌ وَإِنْسانٌ : اصْطَحَبا زَمَنًا طَوِيلًا ، فَأَصْبَحَ كِلاهُما يُنْسَبُ إِلَى صاحِبِهِ ، وَلا يُعْرَفُ إِلَّا بِهِ .

لَقَدِ اصْطَحَبَ هٰذانِ الْبَطَلانِ — أَعْنِي : الطُّنْبُورِيَّ وحِذاءَهُ — سَبْعَ سَنَواتٍ كامِلَةً ، لَمْ يَفْتَرِقا — فِي أَثْنائِها — يَوْمًا واحِدًا ، إِلَّا فِي ساعاتِ النَّوْمِ . فَلَمَّا بَلِيَ الْحِذاءُ ، وَحانَ وَقْتُ الافْتِراقِ ، لَمْ يَسْتَطِعِ الْحِذاءُ صَبْرًا عَلَى تَرْكِ صاحِبِهِ ، وَأَبَى إِلَّا أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، لِيُذَكِّرَهُ بِقَدِيمِ خِدْمَتِهِ وَصُحْبَتِهِ ، وَصادِقِ وُدِّهِ وَعِشْرَتِهِ . وَكَأَنَّما أَرادَ الْحِذاءُ أَنْ يَجْزِيَ صاحِبَهُ — عَلَى غَدْرِهِ بِهِ — جَزاءً صارِمًا ، وَيُلْقِيَ عَلَيْهِ دَرْسًا نافِعًا لا يُنْسَى عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ .

٤ — حِرْصُ الْبَخِيلِ

كانَ «الطُّنْبُورِيُّ» يُحِبُّ الْمالَ حُبًّا عَظِيمًا ، وَلا يُنْفِقُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا إِذا اضْطُرَّ إِلَى ذٰلِكَ أَشَدَّ الاضْطِرارِ ، حَتَّى ذاعَ صِيتُهُ فِي الْبُخْلِ ، وَعَرَفَ أَمْرَهُ كُلُّ مَنْ فِي «بَغْدادَ» .

وَكانَ «الطُّنْبُورِيُّ» يَدَّخِرُ الْمالَ جاهِدًا فِي سَبِيلِ جَمْعِهِ ، دُونَ أَنْ يَخْطُرَ بِبالِهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ — مَرَّةً واحِدَةً — عَلَى فَقِيرٍ أَوْ مِسْكِينٍ . وَكانَ كُلَّما ازْدادَ غِناهُ ازْدادَ بُخْلُهُ . وَلا أَدَلَّ عَلَى حِرْصِهِ مِنْ أَنَّهُ كانَ يُرَقِّعُ حِذاءَهُ كُلَّما تَشَقَّقَ جِلْدُهُ ، دُونَ أَنْ يُفَكِّرَ فِي شِراءِ حِذاءٍ آخَرَ .

وَما زالَ يَدْفَعُهُ الْحِرْصُ والْبُخْلُ إِلَى تَرْقِيعِ حِذائِهِ ، حَتَّى أَصْبَحَ الْحِذاءُ — بَعْدَ سَنَواتٍ سَبْعٍ — وَكَأَنَّهُ أُحْدُوَةٌ كَثِيرَةٌ ، لا حِذاءٌ واحِدٌ ، لِطُولِ ما أَثْقَلَهُ بِهِ صاحِبُهُ مِنَ التَّرْقِيعِ : رُقْعَةً بَعْدَ أُخْرَى ، كَما أَصْبَحَ — لِغَرابَةِ مَنْظَرِهِ — مَضْرِبَ الْأَمْثالِ ، فِي الْحَلِّ والتَّرْحالِ .

٥ — التَّاجِرُ الْحَلَبِيُّ

وَذا صَباحٍ ، ذَهَبَ «الطُّنْبُورِيُّ» إِلَى سُوقِ الزُّجاجِ ، فاشْتَرَى طائِفَةً كَبِيرَةً مِنَ الزُّجاجِ الْمُذَهَّبِ ، جاءَ بِها تاجِرٌ مِنْ مَدِينَةِ «حَلَب» .

وَأَدْرَكَ «الطُّنْبُورِيُّ» بِذَكائِهِ حاجَةَ التَّاجِرِ الْغَرِيبِ إِلَى الْمالِ ، وافْتِقارَهُ إِلَى بَيْعِها . فانْتَهَزَ تِلْكَ الْفُرْصَةَ ، فاشْتَراها

obeikandl.com

مِنْهُ بِأَبْخَسِ الْأَثْمانِ ، بَعْدَ أَنْ ساوَمَهُ فَأَطالَ مُساوَمَتَهُ . والْمُساوَمَةُ هِيَ : أَنْ يَعْرِضَ الْبائِعُ ثَمَنًا لِما يُرِيدُ بَيْعَهُ ، فَيَدْفَعَ لَهُ الْمُشْتَرِي أَقَلَّ مِنْهُ ، وَهٰكَذا إِلَى أَنْ يَتَّفِقا عَلَى ثَمَنٍ مُتَوَسِّطٍ بَيْنَ ما يَطْلُبُهُ الْبائِعُ وَيَدْفَعُهُ الْمُشْتَرِي .

٦ — حِيلَةُ « الطُّنْبُورِيِّ »

وَقَدْ أَفْلَحَ « الطُّنْبُورِيُّ » فِي إِقْناعِ التّاجِرِ الْمُحْتاجِ أَنَّ بِضاعَتَهُ كاسِدَةُ السُّوقِ ، لِأَنَّ الرّاغِبِينَ فِي شِرائِها قَلِيلُونَ . وَتَمَّ لِلطُّنْبُورِيِّ ما أَرادَ ، فَلَمْ يَدْفَعْ لِلْبائِعِ أَكْثَرَ مِنْ سِتِّينَ دِينارًا ، وَهُوَ واثِقٌ مِنْ أَنَّهُ سَيَبِيعُها بِأَضْعافِ ثَمَنِها ، بَعْدَ أَيّامٍ قَلائِلَ .

٧ — ماءُ الْوَرْدِ

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى سُوقِ الْعَطّارِينَ ، فاشْتَرَى قَدْرًا كَبِيرًا مِنْ ماءِ الْوَرْدِ مِنْ تاجِرٍ غَرِيبٍ ، بَعْدَ أَنْ أَوْهَمَهُ بِكَسادِ سُوقِهِ ، كَما أَوْهَمَ التّاجِرَ الْأَوَّلَ . وَما زالَ بِهِ حَتَّى أَقْنَعَهُ بِبَيْعِهِ بِأَبْخَسِ الْأَثْمانِ ، وَغَبَنَهُ كَما غَبَنَ بائِعَ الزُّجاجِ — مِنْ قَبْلُ — غَبْنًا

فاحِشًا . وَهٰكَذا تَمَّ لِلطُّنْبُورِيِّ ما أَرادَ ، لِفَقْرِ التّاجِرِ ، وَشِدَّةِ حاجَتِهِ إِلَى الْمالِ ، واضْطِرارِهِ إِلى الْإِسْراعِ فِى السَّفَرِ . فَلَمْ يُعْطِهِ — فِى ذٰلِكَ الْقَدْرِ الْكَبِيرِ مِنْ ماءِ الْوَرْدِ — أَكْثَرَ مِنْ سِتِّينَ دِينارًا ، وَهُوَ واثِقٌ مِنْ أَنَّهُ سَيَبِيعُهُ بَعْدَ أَيّامٍ بِأَضْعافِ ثَمَنِهِ ، فَيَكْسِبُ بِذٰلِكَ الْمِثْلِ أَمْثالًا كَثِيرَةً .

ثُمَّ عادَ «الطُّنْبُورِيُّ» بِالصَّفْقَتَيْنِ إِلَى بَيْتِهِ ، وَمَلَأَ الزُّجاجَ الْمُذَهَّبَ بِماءِ الْوَرْدِ الْمُعَطَّرِ ، ثُمَّ وَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ عالٍ مِنْ رُفُوفِ مَخْزَنِهِ ، وَهُوَ فَرْحانُ أَشَدَّ الْفَرَحِ بِما وُفِّقَ إِلَيْهِ فِى يَوْمِهِ مِنْ تِجارَةٍ رابِحَةٍ .

obeikandl.com

٨ — فِي الْحَمَّامِ

ثُمَّ خَطَرَ لَهُ أَنْ يَسْتَحِمَّ ، فَذَهَبَ إِلَى حَمَّامٍ « بَغْدَادَ » حَيْثُ لَقِيَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ : « لَقَدْ يَسَّرَ اللهُ لَكَ وَأَغْنَاكَ . وَلَيْسَ يَلِيقُ بِمِثْلِكَ أَنْ يَحْتَفِظَ بِمِثْلِ هٰذا الْحِذاءِ الْمُرَقَّعِ الْبالِي . فَماذا عَلَيْكَ إِذا غَيَّرْتَهُ ؟ وَلَنْ يُكَلِّفَكَ ذٰلِكَ إِلَّا مَبْلَغًا قَلِيلًا مِنَ الْمالِ . وَأَنْتَ — بِحَمْدِ اللهِ — تَكْسِبُ أَضْعافَ ثَمَنِهِ كُلَّ يَوْمٍ . » فَقالَ « الطُّنْبُورِيُّ » لِصاحِبِهِ :

« صَدَقْتَ يا أَخِي ، وَسَأَعْمَلُ بِنَصِيحَتِكَ غَدًا ، إِنْ شاءَ اللهُ » .

٩ — الْحِذاءُ الْجَدِيدُ

ثُمَّ دَخَلَ « الطُّنْبُورِيُّ » الْحَمَّامَ ، وَبَقِيَ فِيهِ زَمَنًا طَوِيلًا . وَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ إِلَى حُجْرَةِ الْمَلابِسِ ، ارْتَدَى ثِيابَهُ . وَحانَتْ مِنْهُ الْتِفاتَةٌ فَرَأَى حِذاءً جَدِيدًا إِلَى جانِبِ حِذائِهِ الْقَدِيمِ . فَقالَ فِي نَفْسِهِ :

« ما أَكْرَمَ هٰذا الرَّجُلَ وَأَوْفاهُ ! فَقَدْ أَبَى لَهُ فَضْلُهُ

ومُروءَتُهُ إِلَّا أَنْ يُهْدِيَ إِلَيَّ حِذاءً جَدِيدًا لِيُرِيحَنِي مِنْ هٰذا الْحِذاءِ الْقَدِيمِ الْبالِي ! شُكْرًا لَهُ ، ما أَكْرَمَهُ ، وَما أَحْسَنَ هَدِيَّتَهُ ، وَما أَسْرَعَ بِرَّهُ ! هٰكذا فَلْيَكُنِ الْوَفاءُ والْمُرُوءَةُ ، فَإِنَّ خَيْرَ الْبِرِّ عاجِلُهُ » . ثُمَّ أَسْرَعَ « الطُّنْبُورِيُّ » فَلَبِسَ الْحِذاءَ الْجَدِيدَ فِي الْحالِ ، وَهُوَ فَرْحانُ

بِهِ أَشَدَّ الْفَرَحِ : وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ يَحْمَدُ الْحَظَّ السَّعِيدَ الَّذِى أَتَاحَ لَهُ هَدِيَّةً بِلا ثَمَنٍ .

١٠ — فاتِحَةُ الشَّقاء

لَمْ يَكُنِ « الطُّنْبُورِىُّ » لِيَعْلَمَ أَنَّ ذٰلِكَ الْيَوْمَ هُوَ فاتِحَةُ شَقاءٍ طَوِيلٍ ، وَبَدْءُ هُمُومٍ قادِمَةٍ مُتَتابِعَةٍ . وَكَأَنَّما شاءَ الْقَدَرُ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَ « الطُّنْبُورِىِّ » ، لِبُخْلِهِ وَتَقْتِيرِهِ ، واحْتِقارِهِ لِحِذائِهِ الْقَدِيمِ ، لِأَنَّهُ تَرَكَهُ فِى الْحَمَّامِ ، دُونَ أَنْ يُوَدِّعَهُ بِكَلِمَةِ شُكْرٍ عَلَى ما أَسْلَفَهُ إِلَيْهِ مِنْ خِدْمَةٍ خِلالَ سَنَواتٍ سَبْعٍ مُتَلاحِقَةٍ .

١١ — حِذاءُ الْقاضِى

وَكانَ الْحِذاءُ الْجَدِيدُ — لِسُوءِ حَظِّ « الطُّنْبُورِىِّ » — حِذاءَ قاضِى « بَغْدادَ » . وَقَدْ ذَهَبَ الْقاضِى فِى ذٰلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَّامِ ، فَلَمَّا خَرَجَ بَحَثَ عَنْ حِذائِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ . فَغَضِبَ لِذٰلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا . ثُمَّ أَمَرَ صاحِبَ الْحَمَّامِ أَنْ يَبْحَثَ فِى سائِرِ الْأَحْذِيَةِ ، لَعَلَّهُ يَظْفَرُ بِحِذاءٍ لا صاحِبَ لَهُ ، فَيَتَعَرَّفَ بِهِ عَلَى سارِقِ حِذائِهِ . وَقَدْ فَتَّشَ

الْحَمَّامِيُّ وَأَعْوانُهُ كُلَّ مَكانٍ فِي الْحَمَّامِ ، فَلَمْ يَجِدُوا حِذاءً بِلا صاحِبٍ غَيْرَ حِذاءِ «الطُّنْبُورِيِّ» . فَعَرَفُوهُ فِي الْحالِ ، لِأَنَّهُ أَصْبَحَ — كَما قُلْتُ لَكَ — مَضْرِبَ الْأَمْثالِ .

١٢ — ثُبُوتُ التُّهَمَةِ

فَغَضِبَ الْقاضِي ، وَأَمَرَ أَعْوانَهُ بِكَبْسِ دارِ «الطُّنْبُورِيِّ» ، فَأَسْرَعُوا إِلَيْها فَكَبَسُوها ، أَعْنِي : هَجَمُوا عَلَيْها فَجْأَةً بَعْدَ أَنِ احْتاطُوها ، فَوَجَدُوا حِذاءَ الْقاضِي . فَأَحْضَرُوا الْحِذاءَ وَسارِقَهُ ، وَلَهُمُ الْعُذْرُ فِي ظَنِّهِمْ أَنَّ «الطُّنْبُورِيَّ» قَدْ سَرَقَ حِذاءَ الْقاضِي مِنَ الْحَمَّامِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَدُورُ بِخاطِرِهِمْ شَيْءٌ غَيْرُ ذٰلِكَ . وَلَقَدْ حاوَلَ «الطُّنْبُورِيُّ» حِينَ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْقاضِي أَنْ يُبَرِّئَ نَفْسَهُ مِنْ سَرِقَةِ الْحِذاءِ ، فَلَمْ يُصَدِّقْهُ الْقاضِي ، لِثُبُوتِ التُّهَمَةِ عَلَيْهِ وَلُصُوقِها بِهِ . عَلَى أَنَّ الْقاضِيَ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَقْسُوَ عَلَيْهِ فِي حُكْمِهِ ، فاكْتَفَى بِجَلْدِهِ وَحَبْسِهِ وَتَغْرِيمِهِ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمالِ جَزاءً لَهُ عَلَى جَرِيمَتِهِ الشَّنْعاءِ .

obeikandl.com

١٣ – فِى نَهْرِ « دِجْلَةَ »

وَلَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ الْحَبْسِ خَرَجَ « الطُّنْبُورِىُّ » مِنَ السِّجْنِ ، وَقَدِ امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ غَضَبًا عَلَى حِذَائِهِ الْمَشْئُومِ ، الَّذِى جَلَبَ عَلَيْهِ الْأَذِيَّةَ وَالشَّقَاءَ ، وَسَبَّبَ لَهُ الْمِحْنَةَ وَالْبَلَاءَ ، وَجَرَّ عَلَيْهِ التَّوْبِيخَ وَالتَّعْذِيرَ ، وَأَلْحَقَ بِهِ الْإِهَانَةَ وَالتَّحْقِيرَ .

فَكَانَ أَوَّلَ ما صَنَعَ أَنْ أَلْقَى بِحِذَائِهِ الْقَدِيمِ فِى نَهْرِ « دِجْلَةَ » ، لِيَتَخَلَّصَ مِنْهُ إِلَى الْأَبَدِ . وَلَمْ يَكَدْ يَرَى الْحِذَاءَ يَغُوصُ فِى قَاعِ النَّهْرِ ، حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ وَهَدَأَتْ ثَائِرَتُهُ ، بَعْدَ أَنْ أَيْقَنَ بِانْتِهَاءِ قِصَّتِهِ ، وَخَلَاصِهِ مِنْ صُحْبَتِهِ .

١٤ – فِى شَبَكَةِ صَيَّادٍ

وَفِى الْيَوْمِ التَّالِى جَاءَ بَعْضُ الصَّيَّادِينَ لِيَصْطَادَ السَّمَكَ – عَلَى عَادَتِهِ – فِى نَهْرِ « دِجْلَةَ » . وَلَمْ يَكَدْ يَجْذِبُ شَبَكَتَهُ حَتَّى رَأَى فِيهَا حِذَاءَ « الطُّنْبُورِىِّ » . فَعَرَفَهُ الصَّيَّادُ فِى الْحَالِ ، لِأَنَّهُ كَانَ – كَمَا قُلْتُ لَكَ – مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ .

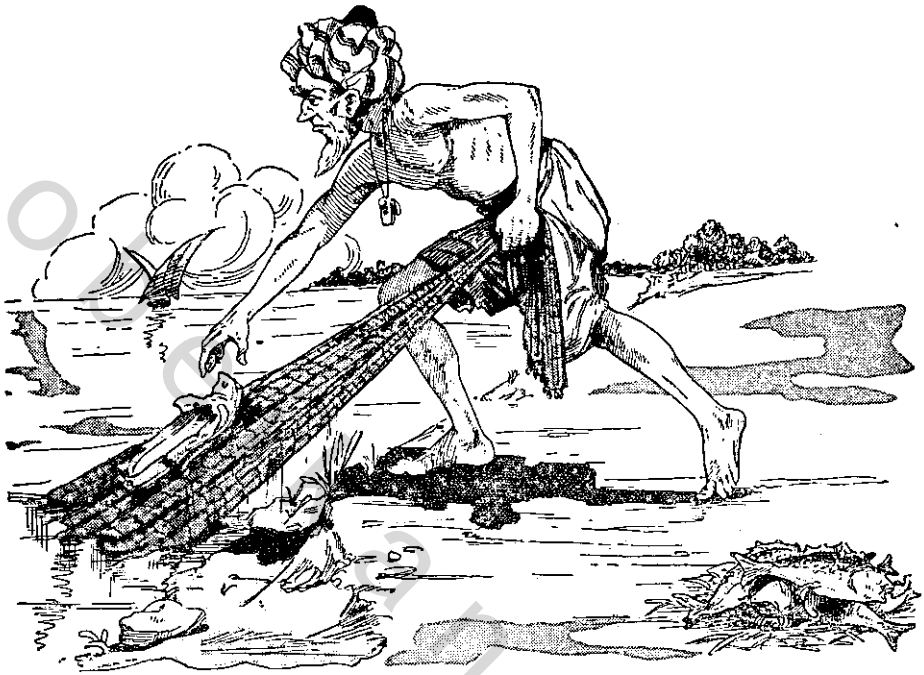

ثُمَّ قالَ الصَّيَّادُ فِي نَفْسِهِ : « لا بُدَّ أَنَّ هٰذا الْحِذاءَ قَدْ وَقَعَ مِنَ « الطُّنْبُورِيِّ » فِي نَهْرِ « دِجْلَةَ » ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَغُوصَ فِي قَرارِ النَّهْرِ لِإِحْضارِهِ . وَسَأَرُدُّهُ إِلَيْهِ ، لِأُدْخِلَ السُّرُورَ عَلَيْهِ » .

١٥ — النَّافِذَةُ الْمَفْتُوحَةُ

ثُمَّ حَمَلَ الصَّيَّادُ الْحِذاءَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَيْتِ « الطُّنْبُورِيِّ » ، وَناداهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، وَبَحَثَ عَنْهُ — فِي أَسْواقِ « بَغْدادَ » —

فَلَمْ يَجِدْهُ . فَعادَ إِلَى بَيْتِ « الطُّنْبُورِيِّ » ثانِيَةً ، وَدَقَّ الْبابَ دَقًّا عَنِيفًا لَعَلَّهُ يَسْتَيْقِظُ إِذا كانَ نائِمًا . فَلَمَّا يَئِسَ مِنْ لِقائِهِ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ فِي صَباحِ الْيَوْمِ التَّالِي . وَلَمْ يَكَدْ يَهُمُّ بِالرُّجُوعِ مِنْ حَيْثُ أَتَى حَتَّى حانَتْ مِنْهُ الْتِفاتَةٌ ، فَرَأَى نافِذَةً صَغِيرَةً مَفْتُوحَةً فِي بَيْتِ « الطُّنْبُورِيِّ » . فَخَطَرَ لِلصَّيَّادِ أَنْ يَقْذِفَ بِالْحِذاءِ مِنْها ، حَتَّى إِذا عادَ « الطُّنْبُورِيُّ » وَجَدَهُ فِي بَيْتِهِ دُونَ عَناءٍ . وَلَمْ يَكَدِ الصَّيَّادُ يَقْذِفُ بِالْحِذاءِ مِنْ نافِذَةِ الدَّارِ ، حَتَّى سَقَطَ الْحِذاءُ بِثِقَلِهِ عَلَى الرَّفِّ الَّذِي وَضَعَ « الطُّنْبُورِيُّ » فَوْقَهُ الزُّجاجَ الْمُذَهَّبَ ، فَحَطَّمَهُ وَسالَ ما يَحْوِيهِ مِنْ ماءِ الْوَرْدِ الْمُعَطَّرِ الثَّمِينِ . وَتَبَدَّدَتْ فِي الْحالِ ، تِلْكَ الثَّرْوَةُ الَّتِي كانَ « الطُّنْبُورِيُّ » يَعْقِدُ عَلَيْها كَثِيرًا مِنَ الآمالِ .

obeikandl.com

١٦ — بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ

وَلَمَّا عادَ « الطُّنْبُورِيُّ » إِلَى بَيْتِهِ ، وَرَأَى ما حَلَّ بِثَرْوَتِهِ مِنَ الضَّياعِ ، صَعُبَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ ، وَتَمَلَّكَهُ الْحُزْنُ ، فَبَكَى وَصَرَخَ وَلَطَمَ وَجْهَهُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ . وَظَلَّ يُعاتِبُ حِذاءَهُ وَيُوَبِّخُهُ ، كَأَنَّما خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَعْقِلُ ما يَسْمَعُ . وَقالَ لَهُ فِيما قالَ :

« شَدَّ ما أَشْقانِي سُوءُ حَظِّي بِكَ أَيُّها الْحِذاءُ الْمَلْعُونُ ، فَإِنَّكَ تَأْبَى أَنْ تُفارِقَنِي . وَكَأَنَّما كُتِبَ عَلَيَّ أَنْ أُصاحِبَكَ مَدَى الْحَياةِ ! فَما أَتْعَسَنِي وَأَشْقانِي بِصُحْبَتِكَ الَّتِي كَبَّدَتْنِي مِنَ الْغَرامَاتِ ما لا سَبِيلَ إِلَى احْتِمالِهِ . أَمَا وَاللهِ لَأَتَّخِذَنَّ لَكَ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ قَبْرًا أَدْفِنُكَ فِيهِ ، فَلا تَرَى وَجْهَ الشَّمْسِ بَعْدَ ذٰلِكَ أَبَدًا » .

١٧ — فَزَعُ الْجِيرانِ

ثُمَّ قامَ « الطُّنْبُورِيُّ » مِنْ فَوْرِهِ — وَصَدْرُهُ يَكادُ يَنْشَقُّ مِنَ الْغَيْظِ — وَشَرَعَ يَحْفِرُ لِحِذائِهِ حُفْرَةً عَمِيقَةً يَدْفِنُهُ فِيها ،

لِيَتَخَلَّصَ مِنْ صُحْبَتِهِ ، وَيَسْتَرِيحَ مِمَّا يَجْلُبُهُ عَلَيْهِ مِنْ تَعاسَةٍ وَشَقاءٍ . وَسَمِعَ الْجِيرانُ صَوْتَ الْفَأْسِ فِي سُكُونِ اللَّيْلِ ، فاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الْخَوْفُ . وَخُيِّلَ إِلَيْهِمْ أَنَّ لِصًّا يُحاوِلُ أَنْ يَنْقُبَ الْحائِطَ عَلَيْهِمْ ، فَأَسْرَعُوا إِلَى الْعَسَسِ يَسْتَنْجِدُونَ بِهِمْ .

تَسْأَلُنِي — أَيُّها الصَّدِيقُ الْعَزِيزُ — مَنْ هُمُ الْعَسَسُ ؟ فاعْلَمْ — عَلِمْتَ الْخَيْرَ — أَنَّ الْعَسَسَ هُمُ الْخُفَراءُ الَّذِينَ يَطُوفُونَ بِاللَّيْلِ لِيَحْرُسُوا النَّاسَ ، وَكُلُّ عاسٍّ مِنْهُمْ يَحْرُسُ مِنْطَقَتَهُ لَيْلًا ، فَإِذا جَدَّ حادِثٌ أَسْرَعَ باسْتِدْعاءِ زُمَلائِهِ لِنَجْدَتِهِ .

١٨ — بَيْنَ يَدَيِ الْوالِي

وَقَدِ اقْتَحَمَ الْعَسَسُ دارَ « الطُّنْبُورِيِّ » وَساقُوهُ إِلَى الْوالِي . فَحاوَلَ « الطُّنْبُورِيُّ » أَنْ يُقْنِعَهُ بِبَراءَتِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِلَى ذٰلِكَ سَبِيلًا . فَقَدْ أَيْقَنَ الْوالِي أَنَّ « الطُّنْبُورِيَّ » كانَ يُرِيدُ بِجِيرانِهِ شَرًّا ، وَلَوْلا ذٰلِكَ لَما هَمَّ بِنَقْبِ حائِطِهِمْ لَيْلًا وَهُمْ نِيامٌ . وَقَدْ عاقَبَهُ الْوالِي عَلَى جَرِيمَتِهِ بِحَبْسِهِ وَتَغْرِيمِهِ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمالِ .

١٩ – فُنْدُقُ « بَغْدادَ »

وَلَمَّا خَرَجَ « الطُّنْبُورِيُّ » مِنَ الْحَبْسِ بَلَغَ بِهِ الْغَيْظُ كُلَّ مَبْلَغٍ . فَأَسْرَعَ إِلَى الْحِذاءِ ، وَقَدِ اعْتَزَمَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُ إِلَى الْأَبَدِ . وَلَمْ يَنْتَظِرْ إِلَى صَباحِ الْيَوْمِ التَّالِي ، بَلْ تَسَلَّلَ فِي ظَلامِ اللَّيْلِ إِلَى فُنْدُقِ « بَغْدادَ » ، وَرَمَى الْحِذاءَ فِي قَصَبَةِ الْمِرْحاضِ ، وَهُوَ واثِقٌ – فِي هٰذِهِ الْمَرَّةِ – أَنَّ عَهْدَ الصُّحْبَةِ بَيْنَهُما قَدِ انْقَضَى ، وَأَنَّهُ لَنْ يَعُودَ إِلَى رُؤْيَتِهِ بَعْدَ ذٰلِكَ أَبَدًا .

وَبَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ سَدَّ الْحِذاءُ قَصَبَةَ الْمِرْحاضِ ، فَلَمْ يُطِقِ النَّاسُ صَبْرًا عَلَى ذٰلِكَ . وَطالَ بَحْثُهُمْ عَنْ مَصْدَرِ هٰذِهِ النَّكْبَةِ ، حَتَّى عَثَرُوا عَلَى حِذاءِ « الطُّنْبُورِيِّ » . فَعَرَفُوهُ فِي الْحالِ ، لِأَنَّهُ كانَ – كَما حَدَّثْتُكَ – مَضْرِبَ الْأَمْثالِ .

٢٠ – حُكْمُ الْقاضِي

وَلَمَّا رُفِعَتْ قِصَّتُهُ إِلَى الْقاضِي غَرَّمَهُ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمالِ لِإِصْلاحِ ما أَفْسَدَهُ حِذاؤُهُ ، وَمَبْلَغًا ثانِيًا يَدْفَعُهُ لِصاحِبِ الْفُنْدُقِ

تَعْوِيضًا لَهُ عَمّا لَحِقَهُ مِنَ الضَّرَرِ ، وَمَبْلَغًا ثالِثًا يُؤَدِّيهِ لِلْحُكُومَةِ عِقابًا لَهُ وَتَأْدِيبًا عَلَى ما فَعَلَ .

٢١ – عَلَى سَطْحِ الدّارِ

فَأَيْقَنَ « الطُّنْبُورِيُّ » أَنَّ حِذاءَهُ لَنْ يُفارِقَهُ طُولَ حَياتِهِ . فَاسْتَسْلَمَ لِمُصِيبَتِهِ ، وَرَضِيَ بِقِسْمَتِهِ ، وَتَرَكَ الْجُهْدَ وَالتَّفْكِيرَ ، وَكَفَّ عَنِ التَّنْقِيبِ وَالتَّدْبِيرِ ، بَعْدَ أَنْ عَجَزَتْ حِيلَتُهُ ، وَأَخْفَقَتْ وَسِيلَتُهُ . وَثَمَّةَ غَسَلَ « الطُّنْبُورِيُّ » حِذاءَهُ ، وَوَضَعَهُ عَلَى سَطْحِ مَنْزِلِهِ ، وَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ بِمَأْمَنٍ مِنْ شَرِّهِ بَعْدَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ .

٢٢ – خاطِفُ الْحِذاءِ

وَلٰكِنْ خابَ ظَنُّهُ . فَلَمْ يَكَدْ يَنْقَضِي يَوْمٌ واحِدٌ حَتَّى رَآهُ كَلْبٌ ، فَحَمَلَهُ فِي فَمِهِ . وَلَسْتُ أَدْرِي كَما لا يَدْرِي أَحَدٌ : ماذا دارَ بِخاطِرِ الْكَلْبِ ، لِأَنَّ الْكَلْبَ لَمْ يُخْبِرْ أَحَدًا بِسِرِّهِ إِلَى الْيَوْمِ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ كائِنًا كانَ – لا مِنَ الإِنْسِ وَلا مِنَ الْجانِّ – بِالسَّبَبِ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَى خَطْفِ الْحِذاءِ .

فَهَلْ تُراهُ أَرادَ أَنْ يَلْهُوَ بِخَطْفِهِ
ويَعْبَثَ بِذٰلِكَ ، كَما يَفْعَلُ
بَعْضُ الْخُبَثاءِ مِنَ الْأَطْفالِ ؟ أَمْ
تُراهُ كانَ شَدِيدَ الْجُوعِ ، فَخَيَّلَ
إِلَيْهِ جُوعُهُ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ بِشَيْءٍ

يُؤْكَلُ ؟ لَسْتُ أَدْرِى وَما أَظُنُّ أَحَدًا يَدْرِى ، فَما يَعْلَمُ نِيَّتَهُ إِنْسانٌ !

٢٣ – الْكَلْبُ وَالْحِذاءُ

وَكُلُّ ما عَرَفَهُ رُواةُ الْقِصَّةِ هُوَ أَنَّ الْكَلْبَ قَفَزَ – والْحِذاءُ فِى فَمِهِ – إِلَى سَطْحِ الْبَيْتِ التَّالِى ، فَهَوَى حِذاءُ « الطُّنْبُورِىِّ » عَلَى رَجُلٍ كانَ يَمْشِى فِى طَرِيقِهِ آمِنًا ، فَأَصابَهُ بِجُرْحٍ بَلِيغٍ . فَسَقَطَ الرَّجُلُ عَلَى الْأَرْضِ خائِرَ الْقُوَى ، والدَّمُ يَسِيلُ مِنْ رَأْسِهِ غَزِيرًا . وَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُ ، وَما كادُوا يُبْصِرُونَ الْحِذاءَ حَتَّى عَلِمُوا مَصْدَرَ الْبَلاءِ ، وَعَرَفُوا – مِنَ الْحِذاءِ – صاحِبَهُ فِى الْحالِ ، لِأَنَّهُ كانَ – كَما قُلْتُ لَكَ – مَضْرِبَ الْأَمْثالِ .

وَرُفِعَ الْأَمْرُ إِلَى الْقاضِى ، فَأَمَرَ بِتَغْرِيمِهِ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمالِ لِعِلاجِ الْجَرِيحِ ، وَمَبْلَغًا آخَرَ لِتَعْوِيضِهِ عَمَّا لَحِقَهُ مِنَ الْأَذِيَّةِ وَالشَّرِّ ، وَمَبْلَغًا ثالِثًا عِقابًا لَهُ عَلَى ما جَرَّهُ إِهْمالُهُ مِنَ التَّعَطُّلِ وَالضُّرِّ .

٢٤ — شَكْوَى «الطُّنْبُورِيِّ»

وَرَأَى «الطُّنْبُورِيُّ» أَنَّ كُلَّ ما ادَّخَرَهُ فِي حَياتِهِ مِنَ الْمالِ قَدْ نَفِدَ ، وَأَنَّهُ أَصْبَحَ فَقِيرًا بَعْدَ الْغِنَى . فَرَفَعَ أَمْرَهُ إِلَى الْقاضِي شاكِيًا ما لَقِيَ مِنْ صُنُوفِ الْأَذَى وَالشَّقاءِ ، وَفُنُونِ الْجَهْدِ وَالْبَلاءِ ، مِنْ ذٰلِكَ الْحِذاءِ .

٢٥ — مَصْدَرُ الْبَلاءِ

وَلَمْ يَكَدِ الْقاضِي يَسْتَمِعُ إِلَى قِصَّتِهِ حَتَّى اسْتَغْرَقَ فِي الضَّحِكِ ، وَدَهِشَ مِمَّا قَصَّهُ «الطُّنْبُورِيُّ» . ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَّا يُرِيدُ ، فَقالَ : «أُرِيدُ أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى أَنَّ الصُّحْبَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ هٰذا الْحِذاءِ قَدِ انْتَهَتْ ، وَلا سَبِيلَ إِلَى عَوْدَتِها ، كَما أُشْهِدُكَ عَلَى بَراءَتِي مِنْهُ طُولَ الْحَياةِ . فَأَعْفِنِي بِاللهِ مِنْ صُحْبَتِهِ ، وَلا تُؤَاخِذْنِي بِما يَقَعُ مِنْ حَوادِثِهِ وَمَصائِبِهِ . فَباللهِ عَلَيْكَ إِلَّا ما أَعْلَنْتَ — بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا — أَنَّنِي بَرِئْتُ مِنْ هٰذِهِ النَّعْلِ ، وَأَنَّنِي لا أَعْرِفُها وَلا تَعْرِفُنِي ، وَلا صِلَةَ بَيْنِي وَبَيْنَها مُنْذُ الْيَوْمِ » .

ثُمَّ الْتَفَتَ « الطُّنْبُورِيُّ »
إِلَى حِذائِهِ ، وَقالَ :
« يا مَصْدَرَ الْأَحْزانِ وَالْبَلاءْ
وَجالِبَ الْمِحْنَةِ وَالشَّقاءْ
وَسالِبَ الرَّاحَةِ وَالْهَناءْ
وَمُبْدِلَ الْبَأْساءِ بِالنَّعْماءْ
قُبِّحْتَ — فِي النِّعالِ — مِنْ حِذاءْ . »

فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ الْقاضِي ، وَرَثَى لِحالِهِ ، وَأَقَرَّهُ عَلَى ما طَلَبَ . وَسَجَّلَ إِقْرارَهُ وَأَذاعَهُ عَلَى الْأَهْلِينَ ، فِي مَدِينَةِ « بَغْدادَ » وَما جاوَرَها مِنَ الْبُلْدانِ .

٢٦ — فِي دارِ الْخِلافَةِ

وَقَدْ ذاعَتْ قِصَّةُ « الطُّنْبُورِيِّ » وَحِذائِهِ فِي كُلِّ مَكانٍ ، وَما زالَتْ تُتَناقَلُ وَتُرْوَى حَتَّى بَلَغَتْ دارَ الْخِلافَةِ . ثُمَّ لَمْ تَزَلِ الْحاشِيَةُ تَتَناقَلُها واحِدًا بَعْدَ الآخَرِ ، حَتَّى ارْتَقَتْ إِلَى سَمْعِ الْخَلِيفَةِ نَفْسِهِ ، فَكانَتْ مَثارَ إِعْجابِهِ وَدَهْشَتِهِ ، وَمَصْدَرَ سُرُورِهِ وَبَهْجَتِهِ . وَكانَ الْخَلِيفَةُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ — لِحُسْنِ حَظِّ « الطُّنْبُورِيِّ » — ضَيِّقَ الصَّدْرِ شَدِيدَ السَّآمَةِ وَالْمَلَلِ . فَلَمَّا سَمِعَ قِصَّةَ « الطُّنْبُورِيِّ » وَحِذائِهِ سُرِّيَ عَنْهُ ، فَضَحِكَ وابْتَهَجَ ، وَحَلَّ الْأُنْسُ وَالِابْتِهاجُ مَحَلَّ الْوَحْشَةِ وَالِانْقِباضِ . واشْتاقَ إِلَى رُؤْيَةِ « الطُّنْبُورِيِّ » ، فَأَمَرَ بِاسْتِدْعائِهِ فِي الْحالِ .

٢٧ — حُلْمُ « الطُّنْبُورِيِّ »

وكانَ « الطُّنْبُورِيُّ » — حِينَئِذٍ — مُسْتَغْرِقًا فِي نَوْمِهِ . وَقَدْ رَأَى فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ حُلْمًا عَجِيبًا لَمْ يَرَ لَهُ مَثِيلًا طُولَ عُمُرِهِ :

رَأَى فِي مَنامِهِ حِذاءَهُ الْبَغِيضَ — وَقَدْ تَمَثَّلَ أَمامَهُ فِي صُورَةِ إِنْسانٍ — يُحَدِّثُهُ كَما يُحَدِّثُ الصَّاحِبُ صاحِبَهُ .

٢٨ — عِتابُ الْحِذاءِ

وَأَنْشَأَ الْحِذاءُ يَقُولُ لِصاحِبِهِ شاكِيًا ، وَيُوجِزُ لَهُ قِصَّتَهُ باكِيًا :

« لَقَدْ أَغْضَبَكَ مِنِّي ما جَلَبْتُهُ عَلَيْكَ مِنَ النَّكَباتِ وَالْمَصائِبِ ، وَحَسِبْتَ أَنِّي تَعَمَّدْتُ ذٰلِكَ . وَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تَغْضَبَ عَلَى صاحِبِكَ الْقَدِيمِ . وَقَدْ عَلِمَ اللهُ أَنْ لَيْسَ لِي فِي هٰذا الْبَلاءِ كُلِّهِ يَدٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي — فِي دَفْعِهِ — حِيلَةٌ . وَمَنْ يَدْرِي فَلَعَلَّهُ عِقابٌ إِلٰهِيٌّ أَرادَ اللهُ — سُبْحانَهُ — أَنْ يُطَهِّرَكَ بِهِ مِنْ ذُنُوبِكَ ، لَعَلَّكَ تُقْلِعُ عَنْ بُخْلِكَ وَتَقْتِيرِكَ وَأَنانِيَّتِكَ ، وَتَكُفُّ عَنْ حِرْصِكَ عَلَى جَمْعِ الْمالِ الَّذِي وَقَفْتَ عَلَيْهِ حَياتَكَ كُلَّها دُونَ أَنْ تُنْفِقَ مِنْهُ دِرْهَمًا واحِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ . وَلَسْتُ أَذْكُرُ يا صاحِبِي — عَلَى طُولِ صُحْبَتِي لَكَ — أَنَّكَ أَعْطَيْتَ فَقِيرًا واحِدًا شَيْئًا — وَإِنْ قَلَّ — مِمَّا رَزَقَكَ اللهُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ عَمِيمٍ . وَقَدْ مَرَّتْ عَلَى صُحْبَتِنا — كَما تَعْلَمُ — سَبْعُ سَنَواتٍ أَوْ تَزِيدُ . وما أَذْكُرُ أَنِّي رَأَيْتُكَ ذاتَ يَوْمٍ تَهُمُّ بِإِسْداءِ مَعْرُوفٍ أَوْ إِغاثَةِ مَلْهُوفٍ . فَهَلْ تَعْجَبُ إِذا عاقَبَكَ

اللهُ عَلَى جُحُودِكَ ، وَجَعَلَ مِنَ الْحِذاءِ — الَّذِى أَخْلَصَ لَكَ الْخِدْمَةَ — وَسِيلَةً لِحُلُولِ نِقْمَتِهِ ، وَأَداةً لِتَحْقِيقِ عَدالَتِهِ ، وباعِثًا عَلَى شَقائِكَ ، وَمَصْدَرًا لِبَلائِكَ ، وَسَبَبًا لِتَبْدِيدِ مالِكَ ، وَجَلْبِ ما حَلَّ بِكَ مِنَ الْمَهالِكِ . وَهَلْ تُعاهِدُنِى — أَيُّها الصَّاحِبُ الْعَزِيزُ — أَنْ تُحْسِنَ إِلَى الْفُقَراءِ وَالْبائِسِينَ ، وَتَتَصَدَّقَ عَلَى الْمَساكِينِ وَالْمُعْوِزِينَ ؟ فَإِنَّكَ — إِنْ عاهَدْتَنِي عَلَى ذٰلِكَ — انْفَرَجَتْ أَزْمَتُكَ ، وَزالَتْ كُرْبَتُكَ ، وَسَعِدَتْ أَيَّامُكَ ، وَتَحَقَّقَتْ أَحْلامُكَ . فَإِنَّ مَنْ شَكَرَ اللهَ عَلَى

نَعْمائِهِ ، نَجَّاهُ اللهُ فِى بَأْسائِهِ . وَوَسِيلَةُ الْغَنِيِّ إِلَى شُكْرِ اللهِ هِىَ أَنْ يُحْسِنَ إِلَى عِبادِ اللهِ ، فَيَسْتَدِيمَ بِذٰلِكَ رِضاءَهُ ، وَيَسْتَبْقِىَ نَعْماءَهُ » .

فارْتاحَ « الطُّنْبُورِىُّ » إِلَى هٰذِهِ النَّصِيحَةِ الْغالِيَةِ ، وَعاهَدَ صاحِبَهُ عَلَى اتِّباعِ مَشُورَتِهِ . وَأَشْهَدَ اللهَ عَلَى صِدْقِ نِيَّتِهِ وَحُسْنِ طَوِيَّتِهِ . وَالطَّوِيَّةُ هِىَ : النِّيَّةُ الَّتِى يُضْمِرُها الإِنْسانُ فِى نَفْسِهِ .

٢٩ — بَيْنَ يَدَى الْخَلِيفَةِ

وَلَمْ يَكَدِ « الطُّنْبُورِىُّ » يُتِمُّ قَوْلَهُ حَتَّى سَمِعَ طَرْقًا شَدِيدًا عَلَى الْبابِ . وَكانَ اللَّيْلُ قَدِ انْتَصَفَ ، فاسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ مَذْعُورًا . فَرَأَى الشُّرْطَةَ عَلَى بابِ دارِهِ يَسْتَدْعُونَهُ لِمُقابَلَةِ الْخَلِيفَةِ . فاشْتَدَّ

خَوْفُهُ ، وَأَسْرَعَ إِلَى ثِيابِهِ فارْتداها . ثُمَّ ذَهَبَ مَعَهُمْ حَتَّى مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ ، فَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَدِ امْتَلأَتْ نَفْسُهُ — مِنْ لِقائِهِ — خَوْفًا وَفَزَعًا . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنِ اطْمَأَنَّ ، حِينَ رأَى الْخَلِيفَةَ يُحَيِّيهِ مُبْتَسِمًا ، وَيَسْأَلُهُ مُتَوَدِّدًا : أَنْ يَرْوِيَ لَهُ بِنَفْسِهِ قِصَّتَهُ مَعَ حِذائِهِ . فَقَصَّ عَلَيْهِ « الطُّنْبُورِيُّ » كُلَّ ما حَدَثَ لَهُ . ثُمَّ شَفَعَ قِصَّتَهُ بِذٰلِكَ الْحُلْمِ الْعَجِيبِ الَّذِي قَطَعَهُ عَلَيْهِ رِجالُ الشُّرْطَةِ .

٣٠ — خاتِمَةُ الْقِصَّةِ

فاشْتَدَّ عَجَبُ الْخَلِيفَةِ مِمَّا سَمِعَ . وَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ أَمْثالِ ثَرْوَتِهِ الْمَفْقُودَةِ . وَشَمِلَهُ — مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ — بِعَطْفِهِ وَرِعايَتِهِ . وَقَدْ وَفَى « الطُّنْبُورِيُّ » بِعَهْدِهِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَنامِ . وَأَصْبَحَ مِثالًا نادِرًا لِلإِحْسانِ وَالْكَرَمِ وَالنَّجْدَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَالإِيثارِ ، بَعْدَ أَنْ كانَ مِثالًا نادِرًا لِلْحِرْصِ وَالأَنانِيَّةِ . وَتَرَكَهُ الْبُؤْسُ وَالشَّقاءُ ، وَخُتِمَتْ حَياتُهُ بِالسَّعادَةِ وَالْهَناءِ .

مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٧٦

obeikandl.com